أغنيتان للألم

- ١ -

من أين يأتينا الألمْ ؟
من أين يأتينا ؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورعى قوافينا

* * *

أمسِ أصطحبناه إلى لُجَج المياهْ
وهناكَ كسّرناه ، بدّدناه في موج البحيره
لم نُبق منه آهةً ، لم نبق عَبْره
ولقد حسبنا أنّنا عدنا بمنجىً من أذاه
ما عاد يُلقي الحزن في بَسَماتنا
او يخبيء الغُصَص المريرة خلف أغنيّاتنا

* * *

ثم استلمنا وردةً حمراءَ دافئةَ العبيرْ
أحبابُنا بعثوا بها عبر البحارْ
ماذا توقّعناه فيها ؟ غبطةٌ ورضىً قريرْ
لكنّها انتفضتْ وسالتْ أدمعاً عطشى حرارْ
وسقت أصابعنا الحزينات النغمْ .
. . . إنّا نحبُّكَ يا ألم .

* * *

من أين يأتينا الألمْ ؟
من أين يأتينا ؟
آخى رؤانا من قِدَمْ
ورعى قوافينا
إنّا له عَطَشٌ وفمْ
يحيىَ ويسقينا

* * *

- ٢ -

أليس في إمكاننا أن نغلب الألمْ ؟
نوجّهه الى صباحٍ قادمٍ أو أمسِيه ؟
نشغَلُه ؟ نقنعُهُ بلعبةٍ ؟ بأغنيه ؟
بقصّةٍ قديمةٍ منسيّة النغمْ ؟

* * *

ومن عساه أن يكون ، ذلك الألمْ ؟
طفلٌ صغيرٌ ناعمٌ مستفهمُ العيونْ
تسكته تهويدةٌ وربتةٌ حنُونْ
وإن تبسّمنا وغنّينا له يَنَم . . .

* * *

يا إصبعاً أهدى لنا الدموعَ والندمْ
مَنْ ، غيرَهُ ، أغلق في وجه أسانا قلبَهُ
ثم أتانا باكياً يسأل أن نحبّهُ ؟
ومَن ، سواهُ ، وزّع الجراح وابتسَمْ ؟

* * *

هذا الصغيرُ . . . انّه أبرأُ من ظَلَمْ
عدوُّنا المحبُّ أو صديقُنا اللدودْ
يا طعنةً تريد أن نمنحها خدودْ
دون اختلاجٍ عاتبٍ ودونما ألمْ

* * *

يا طفلَنا الصغيرَ سامحْنا يداً وفمْ
تحفرُ في عيوننا معابراً للأدمعِ
وتستثيرُ جرحنا في موضعٍ وموضعِ
إنّا غفرنا الذنبَ والإيذاء من قِدَمْ

« بغداد » نازك الملائكة